فوتغرافي جعل التاريخ يتكلم عبر صورة

نور الدين حسين.. شاعر الكاميرا بصور موزونة الإبداع

بهرا ـ سامر الياس سعيد

الإبداع والموصل حالتان مترابطتان لايمكن ان تنفصلا مهما حدث ففي كل مجالات ومحاور الإبداع تجد ان هنالك حالة انبثقت من مدينة الموصل لتنشر أشعتها الإبداعية في فضاء مليء بالآمال والطموحات ومن خلال هذا الواقع تجد أكثر من حالة إبداعية سواء في مجال الادب والفنون التشكيلية والفوتغراف الذي لايقل مستوى من مستويات تلك الصنعة الإبداعية التي يتركها شاعر أو كاتب أو فنان تشكيلي ففنان الفوتغراف يستطيع قنص لحظة ضاجة بالكثير من الأفكار والتأملات ليضخ تفاصيلها في إطار محدد يحمل عنوانا لأي لحظة من لحظات تمتليء بها حياتنا وتتوقف مقدرة المصور الفوتغرافي على قدراته الحسية في عملية الاقتناص لتتحدد فيما بعد مدى حرفتته ومهنيته العالية التي من الممكن ان تنفتح لها بوابات السيرة الإبداعية لتشهد دروعا تكريمية وشهادات تقديرية فضلا عن ألقاب تطوق مسيرة هذا الفنان كما في سيرة فناننا نور الدين حسين الذي بكر في اكتشاف ملكته الإبداعية في فن الفوتغراف فعرف طريق التميز والتألق من خلال سيرة تناولت فيها أقلام الكتاب تلك الصور بشيء من العرفان والتقدير للحرفية التي يمتلكها مصور الموصل الأول وهو اللقب الذي ناله حسين إداريا لكنه في الوقت نفسه كان ترجمة حقيقية لمهارة الفنان وإبداعه الذي لاينضب ..

تفاصيل اللقاء اختلفت في الواقع عن منظور السؤال والجواب لكنها حملت إليه محطات حية من سيرة انطلقت من أزقة الموصل ومن بيوتاتها العتيقة لتواصل الانطلاق بين وديان الموصل لتكتشف عبق الحضارة الاشورية ولتمتزج ذرات من غبار الزمن الغابر مع مشاهد الزمن الحاضر في صورة حية يجسدها الفنان نور الدين حسين فكانت مرافقته للبعثات التنقيبية أمرا مهما أضفى محورا جديدا للفنون الفوتغرافية ليمتزج مع الخبرة الآثارية ..كانت البداية تحديدا عام ٦٥ حينما نشرت مجلة العالم صورة للفنان نور الدين حسين حيث كانت تمثل الشرارة الأولى في مسيرة الفنان حيث يقول عنها أنها شهادة ميلادي الأولى في عالم الفوتغراف حيث كنت ابلغ من العمر ١٩ عاما لكنني كنت اشعر بأنني اكبر من هذا حينما راسلت المجلة مثلما كان يعتقد أقراني وزملائي واخترت هذه المجلة لأنها كانت تأتي الى مدينة الموصل مدعومة وبسعر يناسب جيوبنا حيث كانت تباع بسعر زهيد يبلغ خمسين فلسا لكنني مع ذلك شعرت بفخر كبير حينما وجدت صورتي على صفحاتها لانني لم أكن اعتقد ان المجلة ستنشر تلك الصورة التي تحدثت عن الخريف في مدينة الموصل ..

يسترسل الفنان نور الدين حسين فيقول البداية في عالم التصوير كانت بالتحديد عندما كنت ابلغ من العمر خمسة عشر عاما حيث استهوتني تلك المهنة من خلال امتلاك شقيقي الأكبر عبد الرحمن لأستوديو تصوير في منطقة باب الطوب الشعبية ولي مع الكاميرا التي كانت من شركة بوكس ذكريات لاتحصى تقص حكايا الشغف الأول فبالرغم من بساطة مواصفات تلك الكاميرا وبدائيتها لكنها في الوقت ذاته كانت تمنحني نتائج موفقة يضاف إليها تشجيع مدرس مادة الرسم في المتوسطة المركزية المرحوم عبد الحميد الحيالي .. 'يطرق الفنان نور الدين حسين ليحث ذاكرته على استذكار بعضا من كلمات التشجيع التي كان يحملها الحيالي له فيقول عنها' اذكر تشجيعه لي حينما نجحت في تصوير البانوراما الذي قام بإعدادها الفنان الحيالي و التي تحدثت عن ثورة الشواف حيث عرضت أمام متحف الموصل في تلك الفترة ..مرحلة أخرى مهمة تمثل انطلاق الفنان نور الدين حسين يشير اليها بمزيد من الاعتزاز كونه اشترك مع ابرز فناني المدينة في الإعداد لمتحف الجامعة ويقول عن تلك الفترة ..عملت في عام ٦٨مع الفنانين الرواد أمثال المرحوم ضرار القدو ونجيب يونس فضلا عن الفنانين راكان دبدوب وطلال صفاوي اللذين اختاراني لأكون معهم من اجل توثيق مواضيع تاريخية وتراثية تهم أعمال المتحف الذي كان في بداياته حيث كان يعمل على تأسيسه الدكتور عامر سليمان بالإضافة للنخب التي ذكرتها كما أقمت في أروقة الجامعة المعرض الأول لي وكان مشتركا حيث ضمت أروقة المعرض المذكور بالإضافة لصوري العشرة التي تحدثت عن الآثار والتراث الموصلي صورا للرائد مراد الداغستاني الذي اشترك بصور متنوعة عن المدينة وجاسم الزبيدي الذي تحدثت صوره عن الثورة الفلسطينية ورغم ان المعرض المذكور مثل أولى المعارض التي شاركت فيها لكن معارضي الشخصية انطلقت بعده ومنها المعرض الشخصي الأول الذي أقيم عام ٧٨ في العاصمة بغداد برعاية وزير الثقافة آنذاك ..

ومن ضمن ماكتب عن المعرض المذكور سطور اقتبسناها من تقرير نشرته جريدة العراق الصادرة آنذاك بقلم إبراهيم محمد علي كتب فيها عن مشاهداته لمعرض الفنان نور الدين حسين حيث قال :"ان ابرز ما نلاحظه في لوحاته الفوتغرافية ذلك الانشداد العميق والتفاعل الحيوي مع الموجودات التراثية فإنها تحتل أوسع مساحة من صوره وتمتص اكبر قدر من اهتمامه فتركيزه الظاهر على قضايا التراث بكل أشكاله يكشف لنا عن حبه الكبير والتعلق بماضي هذا الشعب وإبداعاته الفنية الحضارية وهو في صوره يجسد لنا حياة الموصل الحقيقية ببيوتها وأزقتها وشوارعها وحياة الناس فيها فهي لوحات معبرة اصدق تعبير عن ذلك الواقع "..

يمكن ان يكون لوقع تلك الكلمات التي كتبت بحق الفنان حافز لمواصلة المشوار فضلا عن الانفراد بمحور اخر أضافه الفنان الموصلي للمحاور التي حملها فن الفوتغراف حيث يتحدث عن التصوير الآثاري فيقول ..استطعت ان انفرد في فن هذا التصوير بسبب قلة المشتغلين بهذا المجال فضلا عن قلة خبرتهم فيه وقد استعانت بي البعثات التنقيبية الخاصة بجامعة الموصل والتي تضم اكاديميين من دائرة الآثار والتراث لكي أوثق تلك المراحل من البحث والتنقيب وأعمال الحفريات من خلال مرافقة تلك البعثات حيث حملت صوري التي امتازت بالعلمية اهتماما من الآثاريين والباحثين واذكر تلك الرحلات التي شملت تريبسو الواقعة بالقرب من مدينة الرشيدية في مطلع السبعينيات من القرن المنصرم ويضاف اليها البعثة التي رافقتها في موقع سد الموصل قبل انغمار الحوض في الثمانينات كما رافقت بعثة متخصصة اتت من اليابان لتنقب في هذا الموقع كما تنقلت في مواقع أخرى لمرافقة تلك البعثات في مناطق الحضر والنمرود واشور فازدادت بذلك خبرتي رغم إنني في تلك الفترة كنت طالبا في كلية الانسانيات(الآداب فيما بعد) لكن تشجيع رئيس الجامعة محمود الجليلي في تلك الفترة للمواهب والامكانيات منحني دافعا اكبر مما دعا دائرة الآثار لتعييني كمصور لتوثيق الآثار والتراث الذي تزخر به المدينة ومن وحي ذلك العمل رافقت ايضا بعثة قدمت من ايطاليا لغرض اجراء معاينة لتأهيل منارة الحدباء ..

هذا العمل زادني انبهارا بما كانت تمتلكه مدينة نينوى من ارث تاريخي زاخر وموغل بالقدم حيث كانت المدينة تمثل أقدم العواصم التاريخية الموجودة على وجه البسيطة فضلا عن نفوذها وسطوتها التي تمتد في مختلف الاتجاهات ..يبرز سؤال من وحي العمل في مجال التصوير الآثاري لاانتظر في ان ابسطه في سياق حواري مع الفنان نور الدين حسين ومرد التساؤل يكمن في وجود معايير وسياقات محددة يلتزمها فن التصوير الآثاري فيجيب نور الدين حسين ويقول:

"أهم ما موجود في هذا الفن هو التوقيت في عملية التصوير فضلا عن الالتزام بنسب الظل والضوء في أي موقع يراد تصويره بالإضافة للالتزام بدرجة التباين المتدرجة وملاحظات الأكاديميين في البعثات التنقيبية فانا لحد هذه اللحظة أجد إنني محظوظ بالعمل مع خبرات متميزة في العمل الآثاري اذكر منهم الدكتور عامر سليمان والدكتور بهنام أبو الصوف والمرحوم حازم عبد الحميد مدير متحف الموصل والدكتور محمد صبحي والدكتور ميسر سعيد والأستاذ مزاحم حسين وكان من أهم أدوات العمل في تصوير الآثار الاستعانة بمسطرة قياس وهي تتناسب مقياس الرسم المتعارف عليه في علم الخرائط ..

من سياق الحديث التقط معلومة يشير اليها الفنان نور الدين حسين حيث يقول انه كان صاحب فكرة توثيق موجودات متحف الموصل الحضاري حيث عمل على تصوير كل مقتنيات المتحف بأربعة صور لكل مقتنى وضعت في سجلات عممت على كل مؤسسة اثارية سواء في بغداد أو هنا في الموصل وأعطت الفكرة ثمارها حينما حدثت عملية السرقة والنهب التي طالت كل مؤسسات المدينة إلا ان المتحف نجا من تلك العمليات بسبب التوثيق والترقيم لكل ما يمتلكه المتحف من نوادر اثارية تحكي سيرة الحضارة الاشورية ..

ننتهي عن حدود التصوير الآثاري لنفتح محورا اخر هو عن مديات بروز المنافسة التي كان يبديها الفنان نور الدين حسين بوجود رموز الفوتغراف في المدينة واخص منهم الفنانين مراد الداغستاني وكوفاديس فيقول نور الدين حسين ..كلمة التنافس غير موجودة في التعامل معنا ولكن المودة والاحترام مفردتان أجدهما بديلا عن تلك الكلمة التي لاوجود لها وفي ذلك مثل تبرزه الانتخابات الأولى لفرع نينوى للجمعية العرقية للتصوير عام ٧٧ فقد حصل مراد على ٥١ صوتا وأنا حصلت على ٥٠ صوتا والصوت الذي رشحه للفوز علي هو صوتي فقد انتخبته شخصيا كما إنني كنت أول من طالب السلطة المحلية بإطلاق اسم المرحوم مراد الداغستاني على احد شوارع الموصل تقديرا لجهوده المتميزة وقدمت بهذا الخصوص طلبا الى مديرية بلدية الموصل عام ١٩٩٥ وإذا تيسر لي ان اصف مراد فلااجد ابلغ من ان أشير إليه بأنه عاشق لمدينة الموصل وعمل على إبراز موروثاتها الشعبية فضلا عن ريادته في فن الفوتغراف في العراق إما فيما يخص الفنان كوفاديس فهو اهتم بالصورة السياحية والاثارية بالإضافة لاتقانه تصوير البورتريت لكنه كان مقلا بالمشاركة بالمعارض الفنية ..

الى أي مدى يمكن ان تدفع المسابقات والمهرجانات بالفنان الفوتغرافي للارتقاء بعمله ..سؤال اخر ينطلق في سياق الحوار فيجيب عنه الفنان نور الدين قائلا ..فرصة المهرجانات كانت تمنحنا مهمة الاطلاع على إبداعات الاخرين بالإضافة لمشاركتنا فيها كانت تمثل دعما إضافيا لتلك المحافل وبالتالي فان المعطيات الايجابية تتعزز للإسهام بتوسيع قاعدة الفنانين الفوتغرافيين في العراق وتمنحنا دفعا للمشاركة بمحافل عربية ودولية لإظهار الفن العراقي ومقدرته على تحقيق التنافس مع مصورين محترفين بالرغم من امتلاكهم لتقنيات حديثة يمكن ان ترجح كفتهم ..

يسترسل الفنان نور الدين حسين فيشير الى إمكانية ترجيح الصورة بالاعتماد على التقنيات التي باتت موجودة في أي كاميرا فيقول أنها طورت العمل الفوتغرافي وسهلت علينا كمصورين أمورا كنا نلتزم بها في السابق بالإضافة الى التقنية التي استفاد منها بعض المصورين لإجراء تكتيكات جديدة في فن الفوتغراف ولعل تجربة الفنان طارق الشبلي والدكتور مصيب في هذا المجال معلومة للجميع بالإضافة لتجارب زملاء اذكر منهم الفنانين بهجت درسون وانور الدرويش وبشار عدنان ..

سؤال اخر يبرز ليدو حول إمكانية التزام فن التصوير لتوجيهات محددة فيجيب الفنان نور الدين حسين فيقول أهم شيء هو سرعة البديهية التي تحضر في فكر المصور مثلما يمتلك الصحفي هذه البديهية لتعينه في عمله الإعلامي فضلا عن المرعة في التقاط الصورة تماما كعملية القنص والصيد التي تتطلب سرعة في الأداء لكن اليوم فان فن التصوير يمر بظروف معقدة سببها استهداف كثيرين ممن حملوا الكاميرا ودفعوا حياتهم ثمنا غاليا في سبيل هذه المهنة ومنهم ابني نمير والزميل صالح إبراهيم ..

تنتهي محاور السؤال عن التصوير الفوتغرافي لنفتح نافذة أخرى نطل فيها على عمل الفنان نور الدين حسين في محور التصوير التلفزيوني من خلال عمله كرئيس لقسم التصوير في تلفزيون نينوى وإعداده لبرنامج حمل عنوان (تحت الأضواء) ..يقول عن تلك المرحلة ان أول أعماله في فترة السبعينات كان عبارة عن تصوير تمثيليات يجري إعدادها لحساب تلفزيون نينوى وكنا نعاني صغر حجم الأستوديو الذي كان عبارة عن موقع صغير للغاية بينما كنت اقوم بالتصوير خارج حدود ذلك الموقع وتلك التمثيليات كان يقوم بأدائها أعضاء فرقة مسرح الرواد بالإضافة الى ان التلفزيون كان يعرض في تلك الفترة برامج عديدة اذكر منها برنامج كان يعده ويقدمه الإعلامي المعروف سعد البزاز بعنوان 'فكر وأدب' وبرنامج النافذة الثقافية من إعداد وتقديم الشاعر امجد محمد سعيد وبرنامج مخصص للاطفال من إعداد وتقديم الفنان علي إحسان الجراح وبرنامج اقتصادي كان يعده ويقدمه رمزي قبع كما كنت أقدم برنامج تحت الأضواء الذي كان عبارة عن متابعات لأداء الدوائر الخدمية في المحافظة فضلا عن تسليط الأضواء على مشاكل المواطنين وكل تلك البرامج كانت تبث في فترة تبدأ منذ الساعة السادسة مساءا وتستمر لغاية منتصف الليل.

إما عن المسلسلات التي قمت بتصويرها في المجمع الإذاعي والتلفزيوني في نينوى فاذكر منها مسلسل حرب البسوس الذي تم تجسيده مطلع الثمانينات حيث عمل معي طاقم تصوير مؤلف من غازي فيصل والمرحوم خليل إبراهيم حيث عملنا بإمرة المخرج عمانوئيل رسام وبمشاركة فنانين جاؤوا من مصر منهم المرحوم عبد المنعم إبراهيم وملك الجمل ورشوان توفيق بالإضافة الى فنانين عراقيين منهم المرحوم طعمة التميمي وجواد الشكرجي.

كما قمت بتصوير مسلسل النعمان الأخير الذي أخرجه المخرج الأردني موفق صلاح وكان ايضا عملا مشتركا جمع عدد من الفنانين الأردنيين والعراقيين كما اذكر إنني قمت بتصوير وثائقيات تحدثت عن العديد من الأحداث التي شهدتها حقبة السبعينات بالتعاون مع الإعلامي سعد البزاز الذي انتقل بعدها للعمل في العاصمة بغداد فيما انتقل عدد من العاملين في المجمع للعمل في تلفزيون كركوك ومنهم المرحوم طارق فاضل وحكمت الكلو ومحمد نوري طبو وبلغت سنين عملي في التلفزيون ٢٣ عاما قضيت اغلبها في العمل على تصوير مؤتمرات ومحافل سواء تلك التي كانت تعقد في مدينة الموصل اوتلك التي تشهدها العاصمة الحبيبة بغداد ونلت خلال تلك الفترة الكثير من شهادات التقدير التي اعتز بها.

بالإضافة لدروع تكريم فقد نال في عام ٨٧ لقب أستاذ فن من المنظمة العالمية للصحافة في المانيا وكرم بشارة الرواد من ضمن خمسة من رواد الموصل المعروفين في عام ٩٥ ومنحه مجلس الشعب المحلي في الموصل لقب المصور الأول وذلك عام ٩٧كما اختير للعمل كمستشار فوتغرافي في الجمعية العراقية للتصوير المركز العام عام ٩٦ فيما حصل على جائزة الإبداع في العراق عام ٩٨ وشاركت أعماله مع ابرز أعمال الفنانين الفوتغرافيين في كتاب أصدرته الجمعية الملكية الهولندية للتصوير كما ان صوره التي التقطها إبان الأحداث التي شهدها العراق من خلال حرب الثمانينات وحرب الخليج كانت تتناقلها وكالات الأنباء العالمية كما حظي بدرع الإبداع الذي منحته جريدة نينوى عام ٢٠٠٢ فيما تسلم مؤخرا درع الإبداع الذي منحته نقابة الفنانين العراقيين في نينوى ..

بالإضافة لهذه السيرة المؤطرة بالكثير من الشهادات والدروع فان معارضه التي بلغت أكثر من ٣٠ معرضا حظيت بإشادات وكلمات متابعين ونقاد حيث كتب فاتح عبد السلام في مجلة الوطن العربي التي كانت تصدر في لندن عام ٧٩تقريرا عن معرض أقامه الفنان في مدينة الموصل ومن ضمن ما حمله التقرير هذه الكلمات :كاميرا الفنان نور الدين حسين في لقطاتها للطبيعة لاتبحث عن منفذ خاص بها ..لقد سلكت طريقا سهلة عبدها قبل أكثر من ربع قرن فنانون كثيرون أهمهم وأروعهم مراد الداغستاني رائد التصوير الفوتغرافي في العراق ولقد تأثر الفنان حسين بأجواء الداغستاني الذي سبق ان عاش الأجواء نفسها باعتباره ابن الموصل ايضا وتابع عبد السلام حول حس الفنان فقال انه يتألق مضيفا الى تجربته ولعا باللقطة الحياتية البسيطة مؤمنا بفلسفتها وانعكاسها النفسي ملتصقا بقوة واقعه وناس بيئته حيث كان الفنان نور الدين حسين في معرضه الأول ابنا مخلصا ووفيا لبلده ومدينته العتيقة الجميلة الموصل (أم الربيعين) "..

إما الأديب نجمان ياسين فكتب حول تجربة الفنان نور الدين حسين يقول في عدد من مجلة الإذاعة والتلفزيون صدر في عام ٧٨:"ان تجربة الفنان نور الدين حسين تتحرك على ثلاثة إبعاد أساسية مع الانتباه الى ظهور أبعاد ثانوية أخرى تكمل عالمه الفني فالصور التي نشرتها الصحف والمجلات العراقية والعربية له ومعارضه العديدة في مجال الفوتغراف تضعنا أمام تجربة تتحدد بتناول معطيات التراث العربي والتركيز على جمال وإشراق الطبيعة وتناول النموذج الشعبي والفني بقيمه البسيطة الصادقة إضافة الى الاهتمام بحالات إنسانية نادرة" ..إما مجلة فنون في عددها الصادر عام ٧٩فيكتب فيها الأديب أنور عبد العزيز متناولا رؤية الفنان نور الدين حسين فيقول عنها :

" ان الفنان المذكور تعامل مع التصوير بجهد وتواصل إبداعي مدركا انه يعايش مسالة كبيرة ليست سهلة تنطفيء بانطفاء الانفعال السريع والرغبة الوقتية ومؤمنا ان قضية التصوير تشكل أداة تعبيرية لاتقل عن القصة والشعر والموسيقى بل انها تحتاج لترك التأثير الحاد والكبير الى اضاءات وبؤر تتجسد فيها الكوامن التي تستطيع خلق الدهشة والانفعال والإثارة عند المشاهد الذي لم يعد يقتنع باللقطة المنطقية والعادية" ..

وفي جريدة المصور العربي الصادرة في بغداد عام ٩٤ يتحدث الكاتب حسن عبد الحميد فيكتب عن المدينة في إعمال الفنان نور الدين حسين فيقول عنها "ان المدينة تطالعنا في تلك الأعمال لاكما هي ولاكما يريد هو بل يحاول الفنان استحضار واستنطاق تلك الأزقة والدهاليز والأبنية الموصلية التي تركها الزمن تتبارى مع وجودها وقوتها وبقائها لتؤكد أصالتها وانتمائها لبيئة حافلة بالحياة والطراوة من خلال استمدادها لقوة فعل الذاكرة ومحاولات التذكر ونزعات الانتماء والخلاص لها..

هذه الكلمات التي وثقتها الصحف والمجلات العراقية والعربية في تواريخ وأزمان مختلفة لها دلالاتها في مشوار الفنان نور الدين حسين يضاف اليها كم هائل من الكلمات التي دونها مبدعين في حق الفنان نور الدين حسين منها ما دونه الخطاط المعروف يوسف ذنون في صفحة منفصلة يحتفظ بها الفنان نور الدين حسين حيث كتب ذنون "واصفا عدسته بالعين المسكونة بهواجس الماضي والتي تمتلئ مشاعر أمام التراث وخاصة في مدينته الموصل الغنية بإرثها الحضاري شاغله الحدث موضوعه رسم الزمن بحساسية مرهفة متفاعل مع اللقطة ويلحظ زواياها المعبرة ويتناغم مع حركة الضوء فيها مؤطرا ظلالها لتحتوي توزيعا لونيا يحقق تشكيلا يكشف عن قدرات إبداعية متميزة".

وضمن سجل الآراء التي قيلت بحق معرض الفنان نور الدين حسين الذي حمل عنوان أطفال الحصار حيث أقيم في العاصمة بغداد عام ٩٧ على هامش مهرجان المربد الشعري الثالث عشر كتب الكثير من المبدعين كلمات بحق الفنان حسين نقتبس بعضا منها ومنها كلمة للشاعر معد الجبوري كتب فيها :"نور الدين حسين نهر الإبداع الذي لايكف عن الجريان وقناص اللحظات الفريدة وسلسل الموصل المدينة العريقة العظيمة فقد تشرب أنفاسها ورسخ مبدعا رسوخ ماذنهاوقبابها وبيوتاتها وازقتها ومديلتها الواسعة العميقة الفناء "وأخرى للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد يقول فيها :

" ألف تحية أكبار للأخ نور الدين على تحمله العمل على إخراج هذه اللوحات الى الوجود ومعايشته لها لكل هذا الوجع القاتل ".. انتهت الكلمات ومع انتهائها بقيت الأمنيات حاضرة بتقدم مضطرد لواقع التصوير الفوتغرافي حاضرة في بال الفنان نور الدين حسين طالما هنالك نخب تسعى وتعمل لتحقيق مزيد من النجاح لهذا الفن في العراق لكنه مع ذلك يشعر بغصة الم وهو يتذكر المرض الذي داهمه أخيرا احتشاء بعضلة القلب جعله بعيداً عن التواصل مع الكاميرا في الوقت الحاضر لكنه بالرغم من كل تلك الالام التي يشعر بها لاينسى تثمينه لبعض الخيرين مما قدموا له تسهيلات لأجل تلقي العلاج في إحدى المستشفيات الإماراتية المتخصصة في دبي والتي يستعد لشد رحاله اليها خلال الأيام القليلة القادمة لينشط قلبه وينفض عنه ألام المرض اللعين لينبض مع فنه متألقا كما عهدناه وعاشقا محبا لمدينته التي حمل لقب مصورها الأول ..

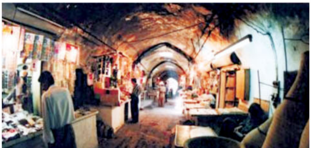

أبيات

صباح القس
Sabah_alkass@yahoo.com

محمد بن بشير الخارجي وعلاقاته النسائية

بيضاءُ خالصةُ البياض كأنها
قمرٌ توسّطَ جنح ليلٍ مُبْرِدِ
موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسد
إن الحِسانَ مظنّةٌ للحُسّدِ
وترى مدامعها تُرقرق مقلةً
حوراءَ ترغبُ عن سواد الأثمد
خودٌ اذا كثر الكلام تعوذّتْ
بحمى الحياءِ وإن تُكلّمْ تُقْصَدِ
وكأنّ طعمَ سُلافة مشمولة
بالريق من أثر السواك الأغيد

هذه الابيات الجميلة في وصف المرأة للشاعر محمد بن بشير الخارجي وهو لقب يعود به الى بني خارجة لكي لايذهب في هذا الظن الى الخوارج الذين خرجوا عن طاعة الامام علي في حرب صفين ومنهم الشاعر الرجّاز قطري بن الفجاءة الخارجي.

ومحمد بن بشير هذا من شعراء الدولة الاموية، وكنيته ابو سليمان. وهو من شعراء الحجاز المعروفين. وشعره فيه فصاحة أهل الحجاز وليونة قولهم وابتعادهم عن الغريب والتعقيد، وتكثر في اخباره زواجاته وتعدد نسائه وكثرة ارتحالاته بين البصرة والحجاز والشام حيث يتطلب حضوره للمدح والارتزاق.

ولاجل علاقاته النسائية فقد منعته عبدة بنت حسان المزنية من المبيت في بيتها بعد أن كانت تسمح له بالمبيت وذلك لان قومها نهوها عن فعل هذا السببين اولهما خوف قومها عليها من مثل هذا الرجل وثانيهما لانها قد مات عنها زوجها فلا يستحسن بمثل هذه المرأة أن تدخل رجلا خباءها. فقال فيها

فانك لو اكرمت ضيفك لم يعبْ   عليك الذي تأتين حَمْوٌ ولابعلُ

وكان في البصرة قد تزوج امرأة عدوانية ذات مال وثراء فاقام عندها حتى ضاق من وخم البصرة وأراد الرحيل بها الى الحجاز فأبت عليه ذلك متعللة بضياع مالها وثرائها اذا هي رافقته فطلقها وقال فيها آسفا لفراقها

دامت لعينك عبرة ونُجومُ   وثوت بقلبك زفرة وهموم

ومن جميل غزله قوله:

جنيّة ولها جن يعلمها   رمي القلوب بقوس مالها وترُ
إن كان ذا قدراً يعطيك نافلة   منا ويحرمنا ما أنصف القدرُ

ومن شعره في الحكمة ما جاء خلاصة لتجربته مع عبد له. فقد كان له عبد يطيعه ويخدمه، ولجميل خدمته وحسن وفائه فقد اعطاه مالا واعتقه، وبعد حين أغنى هذا العبد، واحتاج شاعرنا بعض المال، فطلب ذلك من خادمه الذي اثرى بالمال الذي دفعه له لكن الخادم ماطل وأخلف وأقسم أنه لايملك مالاً فقال:

ويسعى لك المولى ذليلا مرقعا   ويخذلك المولى اذا اشتد كاهلُه
فأمسكْ عليك العبدَ أوّلَ وهلة   ولا تنفلتْ من راحتيك حبائله

وهذه الواقعة أثرت فيه كثيراً حتى جعلته يقول:

اذا افتقر المولى سعى لك جاهداً   لترضى وإن نال الغنى، عنك أدبرا

والابيات المتقدمة في امرأة من مزينة كانت مجاورة لهم فقال يصفها وقد أنشدت هذه القصيدة للرشيد عندما طلب أن يسمع أجمل ما قيل في امرأة خفرة كريمة. وفي القصيدة وصف لا يبتعد كثيراً عما اعتاد عليه شعراء الغزل والوصف فبياض المرأة دليل جمالها وترفها وثرائها ولذلك فهو يشبهها بالقمر الذي يبدو جليا متميزا ساطعا في الليلة الصافية الباردة. وفي البيت الثاني فهي موسومة وموصوفة بالحسن وكل من توصف بمثل هذا الحسن فلابد من حواسد وهن صويحباتها. ويأتي هذا الحسد عن طريق المظنة فهؤلاء الصويحبات لا يبرأنها من العلاقات وهذه المظنة هي نوع من الحسد على الرغم من انها خالية من هذه العلاقات التي تحاول الصويحبات اتهامها بها، فجمالها الأسر محل حسد الحسّاد، ثم يصف مدامعها الرقيقة وعينيها السوداوين اللتين لا تحتاجان الى سواد الأثمد "وهو الكحل" لانها كحلاء حوراء بطبيعتها وهي تستتر حياء ولكثرة حيائها فانها مقتصدة في كلامها لا تبتذل ولاتطيل فيكون حديثها على قدر الحاجة فكثرة الحديث والثرثرة تؤدي الى الزلل وهي بعيدة عن مثل هذا الفعل.

ثم يصف رائحة فمها وهي تتحدث فهذه الرائحة تشبه رائحة الخمر الممزوجة بريقها بعد أن تكون قد مررت اعواد السواك على ثناياها والسواك أعواد من شجر طيب الرائحة

قبسات

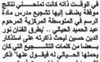

athra_kado@yahoo.com
أثرا منصور كادو

ردود الفعل والإستجابة
Reactions and Response

طارت احدى الحشرات فجأةً من مكان ما وحطّت على سيدة جالسة في المطعم. فبدأت تصرخ مذعورة. مُحاولة بصورة يائسة وبكلتا يديها التخلص منها.

كان رد فعلها مؤثراً، بحيث أدى إلى قلق وذعر جميع من معها.

واستطاعت السيدة في النهاية أن تُبعد لتحط الحشرة على سيدة أخرى من نفس مجموعتها. وبعدها انتقل الدورَ إلى السيدة الثانية في تكملة الحدث. فهرع النادل إلى الطاولة لنجدتهم.

وحاول النادل ابعاد الحشرة، حطت على النادل نفسه... هنا تماسك النادل.. وتآلف مع نفسه، وشاهد الحشرة على قميصه. وعندما اطمئن بما فيه الكفاية، أمسك بها بأصابعه وألقاها خارجا.

صادف اني كنت جالسا في المطعم في نفس الوقت وكنت أشرب قهوتي وشاهدت ما حدث، التقط عقلي بعض الصور والأفكار وبدأ يتساءل!

هل كانت الحشرة مسؤولة عن سلوكهم المسرحي؟!.

إذا كانت كذلك..

لماذا لم ينزعج النادل؟... عندما عالج الوضع بطريقة فريدة، وبدون أية فوضى!.

لا أعتقد ان الحشرة هي المسؤولة عن سلوكهم، وانما عدم قدرة السيدات على معالجة الاضطراب الذي أحدثته الحشرة هو الذي أزعجهن.

من جانبي أدركت أيضاً.. أن صراخ والدي أو رئيس عملي علي ليس هو ما يسبب الازعاج لي، وانما عدم سيطرتي على الاضطرابات التي تحدث بسبب صراخهم هو الذي يجعلني انزعج.

فازدحامات المرور على الطرق ليست هي التي تزعجني، ولكن عدم تحملي الاضطراب الذي تسببه الازدحامات هو الذي يزعجني.

انها أكثر من مشكلة، فرد فعلي تجاه المشاكل هو الذي يؤذيني.

فللسيدات ردة فعل كما رأينا، أما النادل فقد كانت له استجابة للوضع.

يجب ان لا تكون لدينا ردة فعل في الحياة، وانما علينا أن نستجيب لها.

ردات الفعل هي دائماً شيء غريزي، وأما الاستجابة فهي دائماً تأتي بعد التفكير.

* ترجمة بتصرف من موقع Fropki